رضى أصحابها أم كرهوا حيث لا سلطان لأحد منهم على هذه الحالة من حالات السجود والتسبيح القانت فى كيانهم كله وهم لا يعلمون .

فإذا مات الكائن الحى توقفت حالة السجود بدقات القلوب وحركات الدماء والأحشاء وبقيت رفاتهم فى سجود دائم بحركات الذرات التى لا تفنى إلى يوم البعث والنشور ، وإن ذهبت هباء فى الفضاء أو توزعت أشتاتاً فى جوف الأرض أو أعماق المحيطات .

وفى حدود هذا الفهم الواضح تنحصر حالة الكفر والمعصية فى حالات النشاط الإرادى للمخلوقات العاقلة وحدها ، لمن زاغت قلوبهم عن الهداية فضلوا السبيل ، فإذا ما ضل مخلوق عاقل أو عصى ربه كان عمله هذا أشبه بمن ألقى نقطة من حبر داكن على ثوب ناصع البياض فأتلفته وأذهبت رونقه وبهاءه عامداً متعمداً ، كارهاً للجمال الماثل فى سجود ذرات جسمه ودقات قلبه وحركات دمائه وأحشائه ، أن يتلألا ، ولهذا البهاء الماثل فى الانقياد والخضوع وترك الامتناع أن يتألق ، فحق عليه حينئذ الغضب والحرمان من صانع هذا الثوب الجميل ، والبغض والنفور من كل من شاهد هذا الفعل الثقيل .

من ذلك التشبيه البسيط يتضح لنا أن ما كتبه الله على الكفار والعصاة فى الآخرة من عذاب شديد ، هو عدل لا ظلم فيه ، فقد شذوا عن ذواتهم وشوهوا روعة الجمال الذى خلقه الله فى انصياع أبدانهم بما فى ذلك ذرات أجسامهم ، ونكثوا بما استودعوا من أمانة الحق والعدل والصدق فلم يوفوها حقها ، وانقلبوا جاحدين ، فحق عليهم غضب من ربهم وعذاب أليم وصدق الله العظيم القائل : « **... وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** » .
(النحل — ١١٨)

« **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون** » . (الذاريات ٥٦ — ٥٧)

ورد فى تفسير الخازن أن بعض المفسرين قصروا هذه الآية الكريمة على المؤمنين من الإنس والجن حيث ظنوا أن غير المؤمنين منعدموا الصلة بالعبادة ، وهو خلاف ما أوضحناه فيما سبق ، فالذكر وهو مخ العبادة